

١٤ - باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

أ - وقول الله : ﴿ وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦) وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ ﴾ الآيتان [يونس : ١٠٦ - ١٠٧].

بـ - وقوله : ﴿ فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ ﴾ الآية [العنكبوت : ١٧].

هذا من عطف العام على الخاص لأن الاستغاثة من الدعاء فكل مستغيث داعي وليس كل داع مستغيث فالمستغيث هو الذي يدعي عند شدة الكربة كما في الآية ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى ...﴾ ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾ فالذي يستغيث عند المرض أو خوف الغرق بالرسول أو البدوي فهذا من الشرك الأكبر . وكان المشركون في الجاهلية يخلصون الدعاء لله في الشدائد لأنهم يعلمون أنه لا ينجي إلا الله ، أما مشركي زماننا فشركهم في الرخاء والشدة فالاستغاثة عند الشدائد شرك أكبر ويسمى مستغيثا وإذا دعاهم في الرخاء يسمى داعيا وكلاهما شرك والأدلة هي :

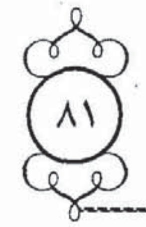
أ - ﴿وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾.

أي من المشركين (والكافرون هم الظالمون) فبين الله أن من دعا من دون الله ما لا ينفع ولا يضر وهذا وصف عام لجميع المخلوقات التي لا تنفع ولا تضر استغلالا . ونفعها وضرها بالله وحده . وأن من دعا غير الله فهو مشرك ويستثنى من ذلك دعاء الحي القادر الحاضر فهذا ليس بشرك بإجماع المسلمين كأن يدعوه ليحمل معه أو يسلفه أو ...

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ ﴾ .

هذا على أن الخلق غير قادرين على جلب النفع أو دفع الضر ولهذا فكيف يعبد غيره وهو عاجز .

بـ - ﴿ فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ ﴾ .



ج - وقوله : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ الآية [الأحقاف: ٥].

د - وقوله : ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ الآية [النمل: ٦٢].

هـ - وروى الطبراني بإسناده : «**أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين فقال بعضهم قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا**

أمر بالطلب من الله وحده والاستغاثة به وحده وعبادته وحده وألا يطلب من غيره شيئا ويستثنى ما تقدم .

ج - ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ .

هذه الآية تبين أنه لا أحد أضل ممن يدعو من دون الله لأنه لم يفلح في الدنيا، وفي الآخرة خاسر إلى النار . ووصف المدعوون من دون الله بأربعة أوصاف :

الأولى : عدم استجابتهم لهم إلى يوم القيامة .

الثانية : أنهم غافلون عن دعائهم إما لأنهم أموات أو جماد لا إحساس له أو حي مشغول أو ملك لا علم له بمن دعاه .

الثالثة : أنهم يكونون أعداء لمن عبدوهم يوم القيامة .

الرابعة : أنهم يبرؤون من عبادتهم وينكرونها .

د - ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ .

أي لا أحد يستطيع فعل ذلك فلا ينبغي طلبه إلا من الله .

هـ - وروى الطبراني بإسناده أنه هناك منافق يؤذي المؤمنين فقال بعضهم .. جاء في رواية أخرى أنه عبادة بن الصامت وأن المنافق هو عبد الله بن أبي بن سلول وفي إسناده بعض الضعف .

والصحابة لم يطلبوا الغوث بالرسول ﷺ إلا لأنه يقدر أن يخلصهم منه إما



المنافق فقال النبي ﷺ : إنه لا يستغاث بي ، وإنما يستغاث بالله»[٧٩] .

بقتله أو بحبسه وهم يعلمون أن الاستغاثة بالحي القادر جائزة ولهذا ذهبوا إليه .

قوله : لا يستغاث بي : يحتمل أمرين :

الأول : أن النبي ﷺ لا يستطيع قتله لأنه كان ممنوعا من قتله لأجل ألا يتحدث الناس بأن محمدا يقتل أصحابه فامتنع من قتله[٨٠].

الثاني : يحتمل إن صح الخبر أنه قال سدا للذريعة وإن كان قادرا على التخلص منه ،حتى لا تقع منهم هذه الكلمة في أمور لا يقدر عليها .

والشاهد : أنه لا يستغاث بغير الله إلا فيما يقدر عليه الحي .

(٧٩) **إسناده ضعيف**.

رواه الطبراني في «الكبير» كما في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٥٩) وفي اسناده ابن لهيعة كما قال الهيثمي وابن لهيعة في مقال مشهور ورواه أحمد (٥/ ٣١٧) وابن سعد في الطبقات (١/ ٢٩٥) من طريق ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن على ابن رباح أن رجلا سمع عبادة بن الصامت يقول : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال أبوبكر قوموا نستغيث برسول الله من هذا المنافق فقال رسول الله ﷺ لا يقام لي إنما يقام لله .

وإسناده ضعيف ففيه ابن لهيعة والرجل الراوي عن عبادة بهم .

(٨٠) **صحيح**.

رواه البخاري (٣٥١٨) ومسلم (طرف حديث ٦٣) من حديث جابر ذكره مرفوعا وفيه قال عمر : ألا نقتل يا نبي الله هذا الخبيث لعبد الله .فقال النبي ﷺ «**لا يحدث الناس أنه كان يقتل أصحابه**» .

